الوقفة الثانية: أصحاب السبت

قال تعالى:

﴿ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا۟ مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ ﴾ (الأعراف).

✓ وقفة بين يدى القصة:

إن الذنوب هي سبب كل مصيبة وبلاء، وهي نذير شؤم ودمار وهلاك، وشأن الذنوب في العباد كشأن الأمراض في الأجساد، فإن المرض إذا أصاب عضوًا آلَم الجسد كله، فإن سُكِت عنه أوشك أن يهلك هذا الجسد، كذلك الذنوب إذا اقترفتها فئة من المجتمع كانت مصدر ألم وقلق وخطر للمجتمع كله، فإن سَكت عنها أفراد المجتمع استشرى الفساد فيهم جميعا فأهلكهم.

هذه الحقيقة يؤكِّدها ربُّ العزَّة جلَّ وعلا من خلال عرضه

لهذه القصة التي تحكيها هذه الآيات الكريمة في هذه الوقفة.

إنها قصة أصحاب السبت. تلك القصة ومع بساطتها في الذكر تحتوي على كثير من المعاني والأسرار، وكأنها رسالة لنا جميعًا تقول: يا من تريدون صلاح الأمة هذا هو طريق الإصلاح الحقيقي.

❁ ❁ ❁

✓ أحداث القصة:

وقبل أن نتحدث عما في القصة من معانٍ وأسرار، وما في الآيات الكريمة من خواطر ولفتات. نعيش أولاً مع أحداث القصة بصفة عامة، كما جاءت في كتب التفسير.

والقصة تحكي موقفًا من مواقف المكر والدهاء لقوم من اليهود في قرية تسمى **(أيلة)** بين (مَدْيَنَ والطورِ) على شاطئ بحر القلزم. وقيل بين مصر والمدينة على شاطئ البحر، يقال لها **(أيلة)** [1].

كان أهل هذه القرية معروفين بصيد السمك. فابتلاهم الله ﷻ بحكم شرعي، وهو أن حرَّم عليهم الصيد في يوم السبت. وهو اليوم الذي اختاره اليهود عيدًا لهم كل أسبوع.

---

(١) تفسير ابن كثير (٤٤٤/٣)، وتفسير الطبري (١٨٠/١٣).

فكانت الأسماك كما ذكر الله ﷻ ﴿إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ ۙ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ﴾.

كانت الأسماك تأتيهم في هذا اليوم (السبت) بأكثر ما يكون، وأفضل ما تكون في أيِّ يوم آخر. بل كانوا ربما لا يرون الأسماك إلا في يوم السبت.

فمكثوا على ذلك مدة من الزمان، ملتزمين بهذا الحكم. حتى اشتد ذلك عليهم فلم يصبروا، وأخذوا يحتالون على شرع اللّٰه ﷻ، ويراوغون ليخرجوا من الحكم بحيلة. فماذا يفعلون؟ **قيل:** عمَدوا إلى شباكهم فنصبوها يوم الجمعة أو في يوم السبت. ثم جاءوا يوم الأحد فأخذوا ما جمعته هذه الشباك. **وقيل:** أخذ أحدهم حوتًا - يعني سمكة كبيرة - فخزمه وربطه يوم السبت ثم تناوله يوم الأحد. ثم قال لما أنكروا عليه ذلك: إننا نُهِينا عن الأكل فقط. ثم بعد ذلك انتشر هذا الأمر وتفشَّى حتى وقعوا في الإثم، فصادوا السمك بهذه الطريقة، ولم يستجيبوا لنصح أهل العلم الذين نصحوهم ووعظوهم وأنكروا عليهم فعلهم، فكانت النتيجة أن أهلكهم اللّٰه ﷻ، ومسخهم قردة.

هذه قصتهم بشيء من الإيجاز، ولكن لنا بعض الوقفات التأمليَّة مع مشاهد القصة.

❁ الوقفة الأولى:

هي وقفة مع الفعل المنهيِّ عنه في الآية، وهو الصيد في يوم السبت. فقد يعجب أحدنا حين ينظر إلى الفعل مع مقارنته بالجزاء، فيستصغر شأن الفعل.

ويقول: وهل يستحق هذا الفعل أن يجازَى أصحابه بمسخهم قردة؟ فأقول: القضية ليست قضية فعل بصفة وهيئة معينة، إنما القضية قضية شرع ودين، قضية حكم شرعيٍّ أنزله الحقُّ جلَّ وعلا، فما دام الله تعالى قد حكم وشرع فلا بد من الانصياع والإذعان لحكمه وشرعه.

فتعظيم أوامر الله ونواهيه من تعظيم الله سبحانه وتعالى. وَقَالَ بِلالُ بْنُ سَعْدٍ: « لا تَنْظُرْ إِلَى صِغَرِ الْخَطِيئَةِ، وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى مَنْ عَصَيْتَ »[1] - وهو الله جلَّ وعلا -.

فما تفشَّت المعاصي في الأمة، وما انتشرت الفواحش بين الناس إلا بسبب استصغار الذنوب، والتهاون في شأن المعاصي. فالمعصية تبدأ بين الناس صغيرة، فيتهاون الناس بشأنها فتكبر شيئًا فشيئًا، ثم يتهاون الناس بشأنها فتصير بعد ذلك أمرًا مألوفًا، ثم تصير بعد ذلك عُرْفًا عامًّا، فإذا

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر، لابن حجر الهيتمي (١/٢٠).

أراد أحد بعد ذلك أن ينكر أو يغير منها أنكر الناس عليه ذلك. وقالوا له: هذا ما عرفناه وورثناه عن آبائنا وأجدادنا، وذلك كما قال أهل الشرك والكفر: ﴿قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾﴾ (الشعراء) وكقولهم أيضًا: ﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾ (الزخرف).

وكما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا ۚ أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ والآيات في هذا المعنى كثيرة.

❁ ❁ ❁

❁ الوقفة الثانية:

أما الوقفة الثانية فهي مع التصرف ذاته. كيف تصرف هؤلاء القوم للخروج من هذا الحكم؟. لقد أخذوا يحتالون على شرع الله ﷻ بأسلوب ماكر خبيث، هو أسلوب لَيِّ العنق، فهم لم ينكروا في بداية الأمر أن الصيد في يوم السبت محرَّم، وإنما أرادوا أن يخرجوا من دائرة التحريم بحُجَّةٍ وَبِعِلَّةٍ، فادَّعَوْا أن التحريم خاص بأكل السمك لا بصيده. أو أن التحريم خاصٌّ بجمع السمك لا بنصب الشباك.

فهذه الحيل كلُّها تُعَدُّ مكرًا منهم للخروج من الحكم الشرعيِّ. لقد مكروا لأنفسهم، لكن كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ﴾، وكما قال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾.

هذا الأسلوب الماكر الخبيث هو ما اعتاد عليه اليهود في كل زمان، ولا يزال هو أسلوبهم حتى الآن لتحقيق أغراضهم الخبيثة.

وكأن عدوَى هذا الداء الخبيث قد انتقلت من هؤلاء القوم إلى بلاد المسلمين. مفسِّرين ومترجمين بذلك ما أخبر به الصادق المصدوق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منذ أربعة عشر قرنًا في قوله: **{لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، شِبْرًا شِبْرًا وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ تَبِعْتُمُوهُمْ}**، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اليَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: **{ فَمَنْ }**[1].

فالمتأمِّل لحال غالب المسلمين اليوم يجد أن هذا الجرم وهذا الفعل متفشٍّ فيهم، فما أكثر مَن يحتالون على شرع الله ﷻ ليُحِلُّوا لأنفسهم ما حُرِّم عليهم!! فمن المعلوم للجميع مثلاً أن الخمر والزنا والربا حرام، وأن العُري والتبرج للنساء حرام،

---

(١) أخرجه البخاري ح (٧٣٢٠)، ومسلم ح (٢٦٦٩) عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ومع ذلك تجد أهل الأهواء وضعاف العقيدة، وأهل الجهل بالدين قد احتالوا على هذه الأحكام. فسمَّوْها بغير أسمائها، ليعطوا لها شرعية فتصير حلالاً - في زعمهم - فسمَّوُا الخمر: مشروبات روحية، وسمَّوُا الزنا: زواجًا عرفيًّا، وسمَّوُا الفسق والفجور في الأفلام والمسلسلات فنًّا وثقافة. وبهذه المسمَّيات الجديدة أباحوا وأحلُّوا لأنفسهم هذا الحرام كله. فتجد من يرتكب هذه المحرمات يرتكبها في إطار شرعية مقنَّنة، لكنها شرعية كاذبة، فلا يشعر من يفعلها أنه يفعل حرامًا. وبهذا التحايل والاحتيال انتشرت الفواحش كلها.

لذلك نجد أن نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد نبَّه إلى خطورة هذا الأمر، وحذَّر منه أشد التحذير، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **{ لا تَرْتَكِبُوا مَا ارْتَكَبَتِ الْيَهُودُ، فَتَسْتَحِلُّوا مَحَارِمَ اللَّهِ بِأَدْنَى الْحِيَلِ}**[1]. ثم يخبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن شاهد آخر، وصورة أخرى من صور التحايل على شرع الله عند اليهود، فيقول: **{لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ، حُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الشُّحُومُ، فَجَمَلُوهَا، فَبَاعُوهَا }**[2]. يعني حرّم عليهم شحومَ الحيوانات فجعلوها دهنًا، فباعوها وأخذوا

---

(١) أخرجه ابن بطة في «إبطال الحيل»، ص (٤٦)، وقال ابن تيمية: إسناد حسن، الفتاوى الكبرى (٢٠/٤). عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه البخاري، ح (٣٤٦٠)، ومسلم، ح (١٥٨٢) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

ثمنها. وفي رواية أخرى: { لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ، ثَلاثًا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَيْهِمُ الشُّحُومَ فَبَاعُوهَا وَأَكَلُوا أَثْمَانَهَا، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا حَرَّمَ عَلَى قَوْمٍ أَكْلَ شَيْءٍ حَرَّمَ عَلَيْهِمْ ثَمَنَهُ }[1].

❁ ❁ ❁

❁ الوقفة الثالثة:

وهي مع أصناف الناس المذكورين في آيات هذه القصة، فقد أشارت الآيات إلى ثلاثة أصناف من الناس:

✓ **الصنف الأول:** الذين ارتكبوا المعصية، واقترفوا الذنب نفسه، فقاموا بالصيد يوم السبت.

✓ **الصنف الثاني:** هم طائفة أهل العلم الذين أنكروا على العصاة فعلهم وحذروهم من ذلك، وهم قلة.

✓ **الصنف الثالث:** هم السواد الأعظم، والغالبية من الناس الذين سكتوا عن هؤلاء المجرمين، فلم ينكروا عليهم بالفعل أو بالقول، وإن كانوا منكرين عليهم بقلوبهم. بل إنهم أنكروا على أهل العلم نُصْحَهم لهؤلاء الناس وعاتبوهم وقالوا لهم: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾.

---

(١) أخرجه أحمد، ح (٣٤٨٨)، وأبو داود، ح (٢٢٢١) عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وصحَّحه الألباني.

فهؤلاء الناس الذين فضلوا السكوت وغضُّوا الطرف عن المجرمين وفعلهم، والذين يمكن أن نسميهم: أهل السلبية، هم أكثر الناس في كل عصر وزمان، وهم الذين يريدون أن يعيشوا بمنأًى ومعزل عن معترك الخلاف والصدام مع الآخرين، يريدون أن يكسبوا وُدَّ هؤلاء وَوُدَّ هؤلاء بغضِّ النظر عما يفعل الجميع، حرامًا كان أو حلالاً، وهذا في شريعة الإسلام أمر مردود مبغوض، لأن الجميع يركبون سفينة واحدة، إن حدث فيها خلل فإن الهلاك للجميع، وإن سلمت السفينة فالأمان والنجاة للجميع. كما وصف ذلك رسول الله ﷺ بقوله: **{ مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا }**[1].

فهؤلاء الناس هم الأكثرية في كل عصر. قد عبر القرآن الكريم عنهم بكلمة (أمَّة) في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ**﴾.

---

(١) أخرجه البخاري، ح (٢٤٩٣) عن النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وكلمة (أمة) لا تطلَق إلا على الغالبية العظمى من الناس.

وهؤلاء يمثلون العَقَبَةَ الكؤود أمام أهل العلم وأهل الدعوة، لأنهم يساعدون على انتشار المنكر بهذا السكوت المقيت عليه، وبتثبيط أصحاب الهمم عن قيامهم بواجب الدعوة.

❁ ❁ ❁

❁ الوقفة الرابعة:

وهي مع الجزاء والعقوبة التي عاقب الله ﷻ بها هؤلاء الناس. قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾﴾

والمتأمِّل لهذه الآيات يجد أن القرآن الكريم قد رتب الجزاء بنوعيه (الثواب والعقاب) بعد التبليغ وإقامة الحجة، وليس بعد مجرد إصدار الحكم بالتحريم، فقال ﷻ ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ وهذا من فضل الله تعالى ورحمته وكمال عدله.

ثم أخبر سبحانه وتعالى بنجاة أهل العلم والبصيرة ودعاة الخير، وعاقب أهل الظلم والعدوان بفسقهم وفجورهم.

لكن. يبقى السؤال: من هم المشار إليهم بالنجاة في الآية؟

هل هم طائفة العلماء الذين نصحوا وأنكروا على المذنبين؟ أم نجا معهم هؤلاء الناس الذين سكتوا عن جرم المجرمين؟

للمسألة عند أهل التفسير قولان:

✓ **القول الأول:** أنهم نجَوا مع الناجين، لأنهم كانوا منكرين على العصاة فعلهم، ولم يكونوا راضين بذلك، وهو قول عكرمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

✓ **القول الثانى:** أنهم أُهلِكوا مع الهالكين. وهو قول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: « كانوا ثلاثًا ثُلْثٌ نَهَوْا وَثُلْثٌ قَالُوا: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾، وَثُلْثٌ أَصْحَابُ الْخَطِيئَةِ فَمَا نَجَا إِلا الَّذِينَ نَهَوْا وَهَلَكَ سَائِرُهُمْ ».

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ: « وَهَذَا إِسْنَادٌ جَيِّدٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَلَكِنَّ رُجُوعَهُ إِلَى قَوْلِ عِكْرِمَةَ فِي نَجَاةِ السَّاكِتِينَ أَوْلَى مِنَ الْقَوْلِ بِهَذَا لأَنَّهُ تَبَيَّنَ حَالَهُمْ بَعْدَ ذَلِكَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ »[1].

وما أجملَ ما قاله ابن كثير قبل ذلك: « فَنَصَّ عَلَى نَجَاةِ النَّاهِينَ وَهَلاكِ الظَّالِمِينَ، وَسَكَتَ عَنِ السَّاكِتِينَ، لأَنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ، فَهُمْ لا يَسْتَحِقُّونَ مَدْحًا فَيُمْدَحُوا، وَلا ارْتَكَبُوا عَظِيمًا فَيُذَمُّوا»[2].

---

(١) تفسير ابن كثير (٤٤٧/٣).
(٢) المصدر السابق (٤٤٥/٣).

فماذا كانت عقوبة هؤلاء الذين تَعَدَّوْا حدود الله ﷻ واحتالوا على شرعه؟.

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾﴾ لقد مسخهم الله تعالى قردة!!.

فما أعظم العقوبة!! وما أعدل الحكم!! إنه قانون الله تعالى الذي لا يحابي ولا يجامل - قانون الجزاء من جنس العمل -. فهؤلاء بفعلهم وجرمهم أرادوا مسخ العقيدة، وتغيير شرع الله ﷻ بأهوائهم، فغيَّر الله تعالى خلقتهم ومسخهم قردة!!

وما أنسب الجزاء والعقاب لحالهم ولذنبهم!، فكما أن القردة شأنها الاستخفاف بعقول الناس وجذبهم، كذلك كان من شأن هؤلاء أن يكونوا أمام الناس موضع سخرية واستهزاء، وذلك لاستخفافهم بعقول المحيطين بهم، وتجاوزهم حدودَ الله ﷻ استخفافاً بها واستهزاءً. وهذا جزاء كل من يحاول أن يغير شرع الله ﷻ، أو يستحل محارم الله ﷻ.

إن تغيير شرع الله تعالى ودينه هو ما يسعَى إليه عدوُّ اللهِ إبليسُ اللعينُ الذي أخذ على نفسه العهد بذلك. - وبئس ما أخذ - أن يُضِلَّ العبادَ، وأن يأمرهم بتغيير دين الله ﷻ. قال تعالى حكايةً عنه: ﴿وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ

وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ﴾. (النساء).

جاء في أحد وجوه تفسير قوله: ﴿وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾ أي دينه وشرعه.

عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: { أَلا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ، مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا... }(1).

فكلُّ مَن تعدَّى على شرع اللّه عَزَّ وَجَلَّ ودينه فغيَّر فيه وبدَّل يوشك أن يعاقبه اللّه عَزَّ وَجَلَّ بهذا العقاب. فقد أخبر النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن هذا بقوله: { لَيَكُونَنَّ مِنْ أُمَّتِي أَقْوَامٌ، يَسْتَحِلُّونَ الحِرَ وَالحَرِيرَ، وَالخَمْرَ وَالمَعَازِفَ، وَلَيَنْزِلَنَّ أَقْوَامٌ إِلَى جَنْبِ عَلَمٍ، يَرُوحُ عَلَيْهِمْ بِسَارِحَةٍ لَهُمْ، يَأْتِيهِمْ - يَعْنِي الفَقِيرَ - لِحَاجَةٍ فَيَقُولُونَ: ارْجِعْ إِلَيْنَا غَدًا، فَيُبَيِّتُهُمُ اللَّهُ، وَيَضَعُ العَلَمَ،

---

(1) أخرجه مسلم، ح (٢٨٦٥).

وَيَمْسَخُ آخَرِينَ قِرَدَةً وَخَنَازِيرَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ }[١].

وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: { لَيَشْرَبَنَّ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي الْخَمْرَ، يُسَمُّونَهَا بِغَيْرِ اسْمِهَا، يُعْزَفُ عَلَى رُءُوسِهِمْ بِالْمَعَازِفِ، وَالْمُغَنِّيَاتِ، يَخْسِفُ اللَّهُ بِهِمُ الأَرْضَ، وَيَجْعَلُ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ }[٢].

❁ ❁ ❁

❁ الوقفة الخامسة:

وهي الأخيرة: وهي مع قوله تعالى: ﴿قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ هذه العبارة التي ردَّ بها أهل العلم والبصيرة على من قالوا لهم ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا﴾.

فهذا الجواب الموجز من أهل العلم ودعاة الحق يؤصِّل مبدءًا من مبادئ الإيمان هو: الهدف والغاية من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فكل دعوة للخير من أمر بمعروف أو نهي عن منكر. لا تخلو من أحد أمرين: الأول: الإعذار إلى الله تعالى، الثاني: تحقيق الإصلاح والتوبة والرجوع إلى الله عَزَّوَجَلَّ في المقصودين من الدعوة.

فلابد من تحقُّق هدف وغاية منهما إن لم يتحقق الأمران معًا.

---

(١) أخرجه البخاري، ح (٥٥٩٠). عن أبي مالك الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) أخرجه ابن ماجة، ح (٤٠٢٠)، وابن حبان، ح (٦٧٥٨)، وصحَّحه الألباني.

✓ **الهدف الأول:** وهو: ﴿مَعۡذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمۡ﴾ الإعذار إلى الله تعالى، أي: إظهار العذر لله تعالى لما ارتكبه أهل المنكر من منكر، ولما فرَّطوا فيه من معروف.

والإعذار إلى الله ﷻ هو إبراء الذمة من الذنب، والتبرؤ من المعصية ومرتكبيها، حتى لا يلحق صاحب الدعوة من عقاب أصحاب الخطيئة. كما قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗ﴾.

فإذا أدى المسلم ما يجب عليه من أمر بالمعروف أو نهي عن المنكر تجاه المخطئين والمفرِّطين فقد ينجيه الله ﷻ من بلاء أو فتنة تصيب هؤلاء الفجار والمذنبين، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ﴾

لأن الذنب إذا اقترفته فئة من الناس ثم لم ينكِر عليهم أحد أوشك الله ﷻ أن يهلكهم جميعًا.

قال ﷺ: **{ إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوْا الْمُنْكَرَ فَلَمْ يُغَيِّرُوهُ، أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابِهِ }**[1].

✓ **الهدف الثاني:** وهو قوله تعالى: ﴿وَلَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾

(١) أخرجه أحمد (١)، وابن حبان (٣٠٥) عن أبي بكر رضي الله عنه، وصحَّحه الألباني.

بمعنى: قد تؤثر دعوة الخير في هؤلاء المذنبين والمخطئين، فيقلعوا عن ذنوبهم وخطاياهم ويعودوا إلى الله تعالى تائبين منيبين. وهذا هو الهدف الأسمَى من الدعوة إلى الله ﷻ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

❁ ❁ ❁

هذه بعض الوقفات التأمليَّة التي تشتمل عليها هذه الآيات الكريمة في قصة أصحاب السبت، وإن كانت الآيات فيها من أسرار البيان وعظيم المعاني ما تقصُر دونه الأقلام والأفهام.

فاللهم انفعنا بها يا ربَّ العالمين.

❁ ❁ ❁